على الحافة

د. تحسين الأسطل

حين يصبح العلاج امتيازا.. أزمة السفر في غزة

في ظل الحرب المستمرة على قطاع غزة، وما يرافقها من انهيار في المنظومة الصحية وتفاقم الأوضاع الإنسانية، يبرز ملف السفر للعلاج عبر معبر رفح كأحد أكثر القضايا حساسية وإلحاحا. غير أن هذا الملف، الذي يفترض أن يكون بوابة إنقاذ للمرضى، بات يثير في الآونة الأخيرة تساؤلات جدية حول نزاهة إجراءاته وعدالة معاييره.

ورغم عدم وجود دلائل موثقة، تشير شهادات متطابقة من داخل القطاع إلى تصاعد شبهات الفساد والرشاوى المرتبطة بترتيب قوائم السفر، خاصة في الحالات الطبية والإنسانية. ويتحدث مواطنون عن اضطرار بعض المرضى أو ذويهم لدفع مبالغ مالية كبيرة -تصل في بعض الحالات إلى عشرات آلاف الدولارات- لضمان إدراج أسمائهم ضمن كشوفات المغادرين.

ورغم صعوبة التحقق المستقل من جميع هذه الادعاءات، إلا أن تكرارها وانتشار وثائق ومعلومات عبر وسائل التواصل الاجتماعي يعزز من مخاوف المواطنين بشأن غياب الشفافية، ويفتح الباب أمام تساؤلات حول آليات اتخاذ القرار في هذا الملف.

من جهة أخرى، تتوزع المسؤوليات للسفر بين عدة أطراف، فعمليات نقل المرضى تتم عبر منظمات إنسانية دولية ومحلية، في حين تتولى جهات رسمية فلسطينية إجراءات التنسيق والختم عبر هيئة الشؤون المدنية. أما منظمة الصحة العالمية، فتشير في العادة إلى أن دورها يقتصر على الدعم الفني، مع إحالة مسؤولية تحديد الحالات إلى الجهات الصحية المحلية في غزة، والتي تحيل كافة الاطراف المسؤولية اليها.

هذا التداخل في الأدوار، مقرونا بغياب آلية واضحة ومعلنة لاختيار المستفيدين، يخلق فراغا في المساءلة، حيث تميل كل جهة إلى نفي مسؤوليتها المباشرة عن أي تجاوزات محتملة، ما يفاقم من حالة انعدام الثقة لدى المواطنين.

في المقابل، يتحدث البعض عن وجود «تنسيقات خاصة» للسفر خارج الأطر الرسمية المعلنة، دون وضوح في المعايير أو الضوابط، الأمر الذي يعزز الانطباع بوجود تمييز غير عادل، خاصة على حساب المرضى الأكثر حاجة أو الطلبة العالقين ويحرمون من الالتحاق بجامعاتهم، وهنا لا يمكن فصل هذه الإشكاليات عن السياق الأوسع، حيث يؤدي الضغط الشديد والأعداد المحدودة للسفر، وإغلاق المعابر، وتعقيد الإجراءات، إلى خلق بيئة خصبة لانتشار الفساد واستغلال الحاجة الإنسانية.

أمام هذا الواقع، تتزايد الدعوات لضرورة وضع آليات شفافة وواضحة لتنظيم السفر، تضمن العدالة وتكافؤ الفرص، وتخضع لرقابة مستقلة. كما يطالب مختصون بالاستفادة من تجارب سابقة في الإدارة العادلة للملفات الحساسة، مثل نظام القرعة الذي اعتمدته وزارة الأوقاف في تنظيم السفر لأداء فريضة الحج، بالإضافة إلى الضغط على الاحتلال من أجل السماح بزيادة أعداد المسافرين والقادمين الى قطاع غزة باعتباره المتسبب الرئيسي بهذه الأزمة.

وعند السؤال عن الحلول للخروج من الأزمة، لا بد أولا من الاعتراف بوجود المشكلة، مرورا بتحديد المسؤوليات بوضوح، وصولا إلى بناء نظام شفاف يخضع للمساءلة، بإشراف الحكومة الفلسطينية، ويضع مصلحة المرضى وكرامتهم فوق أي اعتبارات أخرى.

في ظل الظروف الاستثنائية التي يعيشها قطاع غزة، لم يعد مقبولا أن يتحول الحق في العلاج إلى امتياز يُشترى، أو أن تبقى معاناة المرضى رهينة لإجراءات غير واضحة، فالعدالة هنا ليست مطلبا إداريا فحسب، بل ضرورة إنسانية وأخلاقية ملحة مرتبطة بإنقاذ حياة آلاف المرضى.

حبر على جمر

لمى عواد

«حنظلة».. تجسيدٌ فنيّ عابر للقارات يخلّد أطفال غزة

يقف «حنظلة» هناك على جزيرة «إينيس أوير» الواقعة على الساحل الغربي لإيرلندا، كما عهدناه دائما: طفلا يدير ظهره للعالم، عاقداً يديه خلف ظهره، وعيناه تتجهان نحو الشرق؛ نحو الوطن السليب، نحو قطاع غزة المحاصر.

في مشهدٍ يمتزج فيه الفن بالموقف الإنساني والسياسي النبيل، وتلتقي فيه شواطئ فلسطين بجزر إيرلندا، دشّنت الفنانة الإيرلندية «بيلولوكا» تمثالا يجسد شخصية «حنظلة»، الأيقونة الخالدة للنضال والمقاومة الفلسطينية التي ابتدعها الفنان الراحل ناجي العلي.

رمزية المكان والزمان

تدشين هذا التمثال يحمل دلالات عميقة تترجم التضامن التاريخي الممتد بين الشعبين الإيرلندي والفلسطيني. ولم يكن هذا العمل مجرد تكريم للشخصية، بل أهدته الفنانة ليصبح تخليدا لذكرى الأطفال الشهداء في قطاع غزة الذين ارتقوا خلال الحروب المستمرة، وجسراً ثقافيا وإنسانيا يربط بين نضال الشعوب من أجل الحرية والعدالة. وصرخة صامتة بوجه المجتمع الدولي، يطلقها «حنظلة» من أقصى غرب أوروبا تنديدا بالظلم الواقع على الشعب الفلسطيني.

في هذا العمل، اكتسبت الجغرافيا أبعادا فلسفية تتجاوز حدود الخرائط؛ ومفارقة بصرية مذهلة تنشأ من المقارنة بين بيئة ولادة الرمز وبيئة استقراره الجديد. لقد وُلد «حنظلة» من رحم مخيمات اللجوء، وتربى على رمال غزة اللاهبة وشواطئها المحاصرة، لكنه اليوم يجد نفسه واقفا فوق الصخور الصماء لجزيرة نائية في المحيط الأطلسي. هناك، حيث الأجواء العاصفة، والبرودة القارسة، والأمواج العاتية التي تضرب الساحل الإيرلندي بلا هوادة، يبدو حنظلة وكأنه يتحدى الطبيعة ذاتها؛ ليصبح وقوفه في وجه ريح الأطلسي رمزاً لصمود القضية الفلسطينية في وجه «عواصف النسيان» ومحاولات الطمس الدولية.

ومن هذا الموقع الإستراتيجي في أقصى غرب أوروبا، يكتسب اتجاه نظر حنظلة دلالة سياسية بالغة الأهمية. وعقد يديه صامتاً ليوجه بصره كلياً نحو الشرق؛ نحو فلسطين وغزة المنكوبة.

إنه حنظلة الذي سافر إلى آخر حدود الغرب ليعيد تذكير العالم بأن بوصلة العدالة الحقيقية لا تتجه إلا نحو الشرق، وأن أمواج المحيط الثائرة مهما بلغت قسوتها لن تكون أعلى من صوت الحق الفلسطيني.

خامات إيرلندية بوجع فلسطيني.. جسدٌ مثخنٌ يرفض السقوط

لا تتوقف رمزية هذا العمل عند أبعاده السياسية فحسب، بل تتجلى عبقرية التضامن في تفاصيله المادية والجمالية؛ فقد شُيّد التمثال فوق منصة صخرية مسيجة بالأسلاك ومصنوعة بالكامل من خامات وبيئة جزيرة «إينيس أوير» المحلية، وكأن الأرض الإيرلندية تطوّع حجارتها لتقاسم الحكاية الفلسطينية، محاكية بتلك الأسلاك والجدران الحجرية واقع الحصار، ومعسكرات الاعتقال، ونقاط التفتيش التي تخنق يوميات الفلسطينيين.

أما المجسم ذاته، فقد تعرض لتحديات تقنية وتشققات أثناء عمليات الصب والحرق، أسفرت عن بتر وتصدع في إحدى قدميه، لكن الفنانة «بيلولوكا» فضّلت إبقاءه كما هو دون ترميم؛ لينصهر هذا العيب المصنعي في النحت مع الواقع الحي، ويتقاطع مباشرة مع أجساد أطفال غزة وجرحاهم الذين طالتهم يد البتر والتشويه. تحوّلت القدم المصابة إلى دلالة بصرية مقصودة: إنه جسدٌ مثخنٌ بالجراح، طفلٌ أعرج بفعل القسوة، لكنه يقف على قدمه الأخرى بكبرياء، رافضا الانكسار أو السقوط، ليشهد أن الوجع المشترك عابرٌ للبحار والقارات.

إيرلندا وفلسطين.. توافق الأحرار

هذا الحدث عكس الموقف الشعبي والثقافي الصلب في إيرلندا تجاه القضية الفلسطينية. فتحويل شواطئ الأطلسي إلى منصة للاحتفاء بأيقونة المقاومة الفلسطينية يؤكد أن المسافات تذوب عندما تتشابه قيم الحرية ورفض الاستعمار.

سيبقى «حنظلة الإيرلندي» شاخصا ببصره نحو الشرق، شاهدا على مأساة أطفال غزة، ومذكّرا كل عابر على تلك الشواطئ بأن هناك شعباً ما زال ينتظر العودة، وأن الحق لا يموت بالتقادم طالما أن هناك أحراراً في هذا العالم يخلّدون رموزه.

خيار جنين الصعب...

جنين-الحياة الجديدة-عبد الباسط خلف- يسبق الستيني أسعد أبو الوفا، الشمس، فيصل إلى سهول عرابة قرابة الخامسة صباحا، ليبدأ مهمته في جني محصول الخبار الربيعي.

يتزود أسعد، الذي فقد عمله بالداخل، منذ نحو عامين ونصف العام، بالماء، وبملابس طويلة، وبقبعة لمواجهة شمس حزيران التي بدأت تكشر عن أنيابها.

يسرد أبو الوفاء لـ»الحياة الجديدة» يومياته، فيقول إنها تبدأ مع أذان الفجر من قريته الزاوية، جنوب جنين، وتتواصل حتى الواحدة والنصف ظهرًا، في سبيل توفير فرصة عمل بديلة عن مهنته المفقودة.

يتابع، وهو يتصبب عرقا: كنت أعمل في البناء، ووجدت مهنة بديلة للعام الثاني في برقين، لتوفير مستلزمات الحياة.

على يمين أبو الوفا ويساره ومد بصره، ينتشر مزارعون من بلدات: برقين، وقباطية، وعرابة، وجبع، ويعبد وقراها، وكفيرت، وغيرها في مهمة يومية لقطف المحصول.

يشير أحمد إبراهيم، وهو عشريني من كفيرت المجاورة إلى أن العمل في الخيار يحتاج نسيان أوجاع الظهر، وعدم النظر إلى وجه الشمس، وتجنب الالتفات بعيدا، أو إلى الخلف، بل التركز في البحث عن ثمار الخيار بين أوراقه الخشنة.

تتنافس في سهل محيط ببرقين عدة أكياس بيضاء، على حفظ الثمار، تمهيدا لنقلها إلى مصنع مجاور لتخليلها، وفي الأفق البعيد مزارع خضراء يقول أصحابها إنها تكلفهم الكثير حتى تصل إلى هذه المرحلة.

فيما يتابع الخمسيني زيدان خلف، محصوله، ويده على قلبه، فالموسم هذا العام محفوف بالخطر؛ بسبب سوء البذور حديثة العهد، بعد اختفاء الأنواع القديمة من الأسواق، وتقلب مزاج الطقس الحاد، وحمى غلاء كل شيء يتصل بالأرض.

يعود خلف إلى سجلاته، ويؤكد لـ»الحياة الجديدة» أن حسابات البيدر لا تطابق حسابات الحقل هذا العام على ما يبدو، فالمحصول حتى الآن لا يبشر بالخير، والغلة تنذر بخسائر كبيرة.

ووفق المزارع، الذي يلتصق بمهنته منذ الطفولة، فإن دورة محصول الخيار طويلة وشاقة، والأهم مكلفة جدا، فهي تبدأ بضمان الأرض، وحراثتها، وتجهيز الأشتال، وتغطيتها بالنايلون، وسقايتها، وتسميدها، وعلاجها، وتعشيبها، وقطفها، وتسويقها، ومحكومة بالأمل ومحاولة تكرار التجربة.

ووفق خلف، فإن هذه الحلقة تحتاج يوميا إلى مبالغ كبيرة، في ظل ارتفاع أثمان مدخلات الإنتاج، والحاجة إلى ري متواصل، والظروف الجوية التي تأتي بآفات جديدة.

ويفيد: قطفنا حتى اليوم نحو 700 كيلو غرام من الدونم الواحد، وعلينا حتى لا نتكبد خسائر فادحة جني 3-2 أطنان على الأقل، وباقي من عمر الموسم مدة قصيرة، وهذا يعني أن الغلة قد لا تغطي تكاليف الإنتاج.

يشبه مزارعون الخيار بـ»الطفل الخداج»، الذي يحتاج إلى حاضنة، ويتحسس من الظرف المحيطة به، ومع ذلك يكررون زراعته، لأنه خيارهم الوحيد، كما يجمعون، وإن اختلفت صيغة خطابهم.

يؤكد مدير الإرشاد في مديرية زراعة جنين، جواد زكارنة لـ»الحياة الجديدة» أن الوزارة لا تتدخل في نوعية الأصناف التي تزرع، بل تقدم إرشادات لحماية المزارعين.

ويقول إن المديرية عقدت لقاءات إرشادية للفلاحين، حثتهم على انتقاء أصناف بذور جيدة، وأن يوثقوا عمليات الشراء عرفًا وليس ورقيًا؛ لضمان حقوقهم.

ويشير إلى الوزارة لا تجري مشاهدات لأصناف تجارية، بل تتكفل بذلك الشركات التجارية بإشراف المديرية.

ويؤكد زكارنة أن اعتماد أصناف بذور جديدة، تمر بمراحل وإجراءات، تشترط تنفيذ مشاهدة بإشراف الوزارة في كل المراحل.

بدوره، يرى عضو الأمانة العامة لاتحاد الفلاحين والتعاونيين الفلسطينيين، جمال خورشيد، أن سلامة مدخلات الإنتاج، وسلامة العروة الزراعية شرط أساسي لنجاح المواسم المختلفة.

ويشترط التحقق من المواصفات الفنية للبذور، من خلال الجهات الرقابية والإرشادية في وزارة الزراعة؛ لضمان أصناف مناسبة، ويحث المزارعين على الالتزام بالتعاقد مع شركات البذور باتفاقات مكتوبة وليس شفهية.

ويقول خورشيد إن «الزراعة» هي الفيصل في الرقابة على مدخلات الإنتاج، وأن مسؤولية المزارع الشراء بفاتورة ومن متاجر مرخصة، ومن جهات موثوقة.

ويشير إلى وقوع مشاكل في بذور محاصيل «خيار البيبي»، والفراولة، وتقاوي البطاطا، والبطيخ، ودون اتفاقيات شراء مكتوبة، لن يتمكن أحد من حماية المزارع، والأمر ينطبق على المبيدات والأسمدة.

ويبين أن وجود أجسام مهنية وناظمة للقطاع الزراعي مسألة مهمة، لكن ذلك لا يعفي المزارع من الشراء الرسمي لأصناف موثوقة، والحرص على ضمان حقوقه بقنوات رسمية.

وحسب خورشيد، فإن المركز الفلسطيني للتنمية الاقتصادية والاجتماعية، الذي يشغل موقع نائب مديره العام، كان له تجربة في عون المزارعين بتوريد بذور وشبكات ري منخفض وآلات تدريج وتعبئة، والتدخل بوضع أسعار عادلة.

ويعدد التحديات التي تواجه قطاع الزراعة حاليا كتذبذب الأسعار، وارتفاع تكاليف مدخلات الإنتاج، وتجريف الاحتلال لحقول، واقتحامات المستوطنين وسيطرتهم على مناطق زراعية، وهدم منشآت.

ومن منظار مدير عام شركة جنات للتسويق الزراعي، ومصنع المحصول الوفير للتصنيع الزراعي، علام خلوف، فإن معضلة السوق الزراعي في فلسطين، حجمه متناهي الصغر، مقارنة بأسواق عملاقة وضخمة مجاورة لنا وبعيدة عنا.

ويقول إن أحد أصناف بذور الخيار كانت تباع في الأسواق، وكانت ناجحة، غير أن تغيرات في ملكية الشركة المنتجة لها، جعلتها تتوقف عن ضخها، وبدأت بأصناف جديدة نجحت في دول أخرى، وفشلت لدينا.

ويعمل لصالح مصنع خلوف عدة مزارعين في مناطق ميثلون جنوب جنين بألف دونم، ومثلهن في سهول برقين وقباطية، وألف أخرى في مرج ابن عامر، عدا عن 3000 دونم في مرج ابن عامر والنصارية لشركات أخرى.

ويتوقع أن ينتج الدونم الواحد نحو 2 طن، بينما المعدل الطبيعي 4 أطنان، وينتهي الموسم مع انقضاء حزيران، الأمر الذي ينذر بخسائر فادحة لكثير من المزارعين، بفعل الكلفة العالية للإنتاج، وضعف الغلة.

أجواء حارة إلى شديدة الحرارة وتحذير من التعرض لأشعة الشمس

رام الله- الحياة الجديدة- توقعت دائرة الأرصاد الجوية أن يكون الجو اليوم الأربعاء صافيا بوجه عام جافا وحارا في المناطق الجبلية وشديد الحرارة في بقية المناطق، ويطرأ ارتفاع على درجات الحرارة.

وغدا الخميس، يكون الجو صافيا بوجه عام جافا وحارا نسبيا في المناطق الجبلية وحارا في بقية المناطق، مع انخفاض طفيف على درجات الحرارة.

ويوم الجمعة، يكون الجو صافيا بوجه عام جافا وحارا نسبيا في المناطق الجبلية وحارا في بقية المناطق، دون تغير يذكر على درجات الحرارة.

وحذرت دائرة الأرصاد الجوية المواطنين من خطر التعرض المباشر لأشعة الشمس لفترات طويلة خاصة خلال ساعات الذروة ما بين الساعة 11 صباحا و4 عصرا، ومن إشعال النار في المناطق التي تكثر فيها الأعشاب الجافة.

الحي المسيحي في صور يفرغ من سكانه بعد إنذار إسرائيلي

صور (لبنان)- أ.ف.ب- في الحي السياحي في مدينة صور المطل البحر، حزم من تبقى من السكان أمتعتهم أمس الثلاثاء وغادروا على عجل بعد إنذار إخلاء من جيش الاحتلال الإسرائيلي شمل للمرة الأولى الحي المسيحي الذي لجأ إليه عدد من النازحين من مناطق أخرى.

وقال إلياس بربور بينما كان يهم بالمغادرة «حزمنا أمتعتنا، وسوف نغادر. في البداية كنا نعتبر أنفسنا غير معنيين بالإنذار، لكننا الآن معنيون».

وبات الحي الذي تقطنه غالبية من المسيحيين الذين يحاولون البقاء بمنأى عن الحرب، ويعج خلال أشهر الصيف بالسياح والزوار، فارغا، بينما كان بعض المتأخرين يضعون حقائبهم في سياراتهم استعدادا للخروج بدروهم.

وتتعرض صور، المدينة الساحلية التي تعد من كبرى مدن جنوب لبنان وتأوي آلاف النازحين من القرى المجاورة، لغارات إسرائيلية واسعة منذ بدء الحرب، لم يحد منها الإعلان عن وقف لإطلاق النار في 17 نيسان/أبريل. وشكلت الحارة المسيحية خصوصا، طوال أسابيع، ملجأ للنازحين الذين أمضى بعضهم أيامه ولياليه في السيارات وعلى الأرصفة أو في محلات تجارية.

وأضاف بربور متحسرا «ما ذنبنا؟ ماذا نفعل؟ ... من أجل ماذا؟».

ويؤكد الرجل أنه سوف يذهب إلى منزل شقيقته في العاصمة «لعدة أيام لنرى ما سيحدث».

خلفه، رست قوارب الصيادين بمحاذاة الأرصفة الضيقة للحي القديم. أما المطاعم والمقاهي التي تتسم بطابع تقليدي، فقد أغلقت أبوابها وهجرها روادها.

وبعيد الإنذار الإسرائيلي، أفادت الوكالة الوطنية للإعلام الرسمية عن غارات إسرائيلية على المدينة ومحيطها.

وكانت غارة إسرائيلية تسببت قبل يومين بأضرار في معلم أثري قديم يعود لآلاف السنين، فيما تسببت أخرى سبقت التحذير الإسرائيلي باستشهاد ثمانية أشخاص في المدينة، وفق وزارة الصحة.

«كذبة كبيرة»

ونشر المتحدث باسم جيش الاحتلال أفيخاي أدرعي على منصة «إكس» أمس: «إنذارا عاجلا إلى سكان مدينة صور - بما فيها الحارة المسيحية - والمخيمات (الفلسطينية) والأحياء المحيطة بها».

وأضاف «حرصا على سلامتكم، ندعوكم إلى إخلاء منازلكم فورا والانتقال شمالا إلى ما وراء نهر الزهراني»، أي على بعد نحو أربعين كيلومترا من الحدود.

وبرر ذلك بتواجد «عناصر حزب الله أو منشآت أو وسائل قتالية» بالقرب منهم، ما «يعرض حياتكم للخطر»، متهما عناصر من الحزب «بالعمل داخل الحي المسيحي في المدينة».

وقال عضو مجلس بلدية صور وليد الطويل إنه بعيد الإنذار، «فرغت الحارة (المسيحية).. بنسبة 99٪ وبقي عدد قليل من الأشخاص». وأضاف أن غالبية الناس توجهوا إلى بيروت وصيدا التي تقع شمال نهر الزهراني. أما من لا يملكون مكانا يلجأون إليه، فجلسوا بسياراتهم على الكورنيش البحري بمحاذاة شاطئ المدينة الرملي الذي يزدحم خلال أشهر الصيف عادة بالزوار.

عند مدخل مدينة صيدا الواقعة إلى الشمال من صور، شاهد مراسل لوكالة فرانس برس أشخاصا وصلوا من صور، منهم من حزم أمتعة فوق سيارته.

ونصب بعض النازحين خيما على أرصفة المدينة على غرار أحمد حيدر الذي قال «اليوم هددوا الحارة المسيحية.. عندما حصل التهديد، خفنا ورحلنا.. هددوا منطقة صور بأكملها. لم يعد هناك أمان مطلقا».

وقال محمد مصطفى بينما كان يستقل دراجته النارية لمغادرة صور ومن خلفه ابنته «كذبة كبيرة حين يقولون إن هناك حزب الله. لا يوجد أحد في منطقة صور، هذه كذبة لإخافة الناس. هم كاذبون».

وتابع، وقد بدا عليه التأثر، «انا لا أرغب بالذهاب. هذه منطقتي، هذه روحي. نحن صيادو سمك، إلى أين نذهب؟».